المجلة العربية للعلوم الإنسانية

أهمية مدينة الجابية في الفتح الإسلامي لبلاد الشام

أحمد سعود الحسن*

* حصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة مانشستر/ بريطانيا عام 1990.
يعمل مدرساً بقسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة الكويت.

AJH
99

الملخص

الجابية مدينة شامية تقع على بعد 80 كلم تقريبًا جنوبي دمشق، برز دورها في فترة ما قبل الإسلام، لا سيما أثناء حكم الغساسنة، فقد كانت عاصمة لبعض ملوكهم، ويرجع ذلك إلى موقعها المتوسط بين الأراضي التي يحكمونها، وصحة جوها، بالإضافة إلى حصانتها الطبيعية.

افتتح المسلمون الجابية سنة 13 هـ ـ 634م في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (11 هـ ـ 632م إلى 13 هـ ـ 634م) ، وجعلوها قاعدة لحملاتهم العسكرية لقربها من الجزيرة العربية، ولعدم وجود عوائق طبيعية ـ من جبال أو أنهار ـ بينها وبين عاصمة الخلافة يومذاك المدينة المنورة، ولمشابهة مناخها للمناخ الصحراوي الذي اعتادته القبائل المشاركة في الفتوحات.

ولما تم فتح معظم بلاد الشام كانت الجابية المكان الذي يقصده الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13 هـ ـ 634م إلى 23 هـ ـ 643م) للقاء الجيوش الإسلامية كلما زار بلاد الشام، وفيها قام بإجراءاته المختلفة لضمان سيطرة المسلمين الكاملة واستمرارها على البلاد المفتوحة.

فقدت الجابية أهميتها التاريخية بعد زيارة الخليفة عمر بن الخطاب الأخيرة لها سنة 18 هـ ـ 639م، وأرجح الأسباب لذلك أن بروزها اقترن بدورها العسكري في الفتوحات، وقد انتهى مع سيطرة المسلمين على بلاد الشام.

المقدمة

قامت مدينة الجابية بدور بارز في التاريخ في ثلاث فترات:

الفترة الأولى: في عصر ما قبل الإسلام، حيث كانت الجابية عاصمة لبعض حكام مملكة الغساسنة الذين حكموا الأراضي الواقعة بين بلاد الشام والجزيرة العربية في الفترة من 529م إلى حوالي 638م.

الفترة الثانية: أثناء الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (11 هـ ـ 632م إلى 13 هـ ـ 634م)، والخليفة عمر بن الخطاب (13 هـ ـ 634م إلى 23 هـ ـ 643م).

الفترة الثالثة: في العصر الأُموي (41 هـ ـ 661م إلى 132 هـ ـ 750م)، وبالذات في سنة 64 هـ ـ 683م بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية، وتنازل ابنه معاوية بن يزيد عن الخلافة الذي ترك سُدتها شاغرة يتنازعها أكثر من طرف، فعقد أنصار البيت الأموي في الجابية مؤتمراً تمخض عن ترشيح مروان بن الحكم للخلافة، ويعود إلى هذا المؤتمر فضل حفظ الخلافة في فرع بني أمية من قريش حتى سنة 132 هـ ـ 750م.

ولم تتطرق هذه الدراسة إلى دور الجابية في الفترة الأموية، وذلك لوجود دراسة مستوفية وعميقة قُدِّمت في المؤتمر الذي عُقد في عمَّان سنة 1989م[1]، وكذلك لم تتناول بالتفصيل الفترة المتعلقة بالعصر الجاهلي لندرة المعلومات عن الجابية فيها، وإنما تركَّزت دراستنا هذه بالدرجة الأولى على دور الجابية في فترة الفتح الإسلامي لعدة أسباب، من أهمها أن الجابية في هذه الفترة كانت قاعدة عسكرية لجند المسلمين الذين فتحوا بلاد الشام، كما حظيت بزيارات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عند قدومه لبلاد الشام، وفيها قام الخليفة عمر بإجراءات تنظيمية وإدارية أدت إلى سيطرة المسلمين على بلاد الشام المفتوحة حديثاً.

وعلى الرغم من أهمية الجابية في هذه الفترة فإننا لم نعثر على دراسة متكاملة عنها، فكان اختيار هذا البحث الذي نتمنى أن يسد نقصاً في المكتبة التاريخية العربية في فترة الخلافة الراشدة، واعتمدت في دراستي هذه بشكل رئيس على المصادر العربية

الأولية القريبة من الأحداث التاريخية للموضوع، منها كتاب «تاريخ فتوح الشام» لمحمد بن عبدالله الأزدي (ت 165 هـ ـ 781م)، وكتاب «المعرفة والتاريخ» ليعقوب ابن سفيان البسوي (ت277هـ ـ 890م)، وكتاب «فتوح البلدان» لأحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري (ت279هـ ـ 892م)، وكتاب «تاريخ الأمم والملوك» لمحمد بن جرير الطبري (ت310هـ ـ 922م)، وكتاب «تهذيب تاريخ دمشق الكبير» لعلي بن الحسن بن عساكر (ت571هـ ـ 1176م).

وقد ناقش البحث عموما نقاطاً مختلفة أهمها: الجابية باعتبارها عاصمة لبعض حكام الغساسنة، وأسباب هذا الاختيار، وفتح الجابية وأسباب اختيارها كقاعدة عسكرية للمسلمين، ودورها كقاعدة عسكرية في الفتح الإسلامي، والزيارات التي قام بها الخليفة عمر بن الخطاب إلى الجابية وتنظيماته فيها، وأخيراً أسباب اضمحلال الجابية وعدم تحولها إلى مصْر أو مركز للحكم والإدارة كباقي المراكز العسكرية التي اتخذت في الفتح الإسلامي كالبصرة والكوفة في العراق، والفسطاط في مصر.

التعريف بالجابية

تُلفظ كلمة الجابية بكسر الباء وتخفيف الياء، وهي مشتقة من الفعل جَبَى كقولنا «جَبيتُ الماء إلى الحوض» أي جمعتُ الماء في الحوض، وللجابية ثلاثة معاني لُغوية وهي: إما بمعنى الحوض الذي يُجمع فيه الماء للإبل، أو بمعنى الحوض الضخم، أو الجماعة من القوم[2]، والأقرب من هذه المعاني للمنطقة محل البحث هو الحوض الضخم، وذلك لتقاربه من الناحية الجغرافية لموقع الجابية الذي يمتد على مجموعة من التلال[3]، وهي منطقة تتخللها سهول ومنخفضات تشكل أماكن أشبه بالأحواض الكبيرة، وتُجمع كلمة الجابية بصيغة «جواب»[4].

ويطلق على مدينة الجابية أسماء مختلفة، فهي تسمى «جابية الملوك»[5]، وذلك باعتبارها في بعض الفترات قبل الإسلام كانت عاصمة للملوك الغساسنة، الذين سيطروا على الأراضي الواقعة بين بلاد الشام والجزيرة العربية[6]، وتسمى أيضاً «جابية الجولان»[7]، وذلك لوقوعها في منطقة الجولان من بلاد الشام.

ومن الناحية الجغرافية[8] فأكثر المصادر تفصيلا في تحديد موقعها ياقوت الحموي[9] الذي ذكر بأنها «قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجَيْدُور[10] من ناحية

الجولان[11] قرب مَرْج الصُفّر[12] في شمال حوران[13] إذا وقف الإنسان في الصَّنَمَين[14] واستقبل الشمال ظهرت له، وتظهر من نَوَى أيضاً»[15].

وهي تقع جنوبي دمشق على بُعد 80 كم تقريبا[16] ومن أهم معالمها «تل الجابية» وله شهرة كبيرة باعتبارها المكان الذي خطب فيه عمر بن الخطاب خطبته المشهورة التي عرفت بخطبة الجابية[17]. و«مسجد الجابية» الذي بناه المسلمون بعد فتحها مباشرة[18]، كما يُنسب للجابية ـ إلى اليوم ـ إحدى بوابات دمشق وهو الباب المسمّى بباب الجابية وذلك باعتباره في اتجاه مدينة الجابية[19].

مدينة الجابية قبل الإسلام

إن المعلومات التي وردت في بعض المصادر تشير إلى وجود الجابية كمدينة معروفة في عهد النبي أيوب عليه السلام، حيث وردت أخبار بأنه أرسل إلى مناطق مختلفة من بلاد الشام ومنها الجابية[20]، وهذه الرواية لها أهمية كبيرة في دلالتها على نشأة الجابية، ووجودها كمدينة عامرة بالسكان يرجع إلى فترة قديمة سابقة لميلاد المسيح عيسى عليه السلام.

وتظهر الجابية في المصادر مرة أخرى أثناء حكم الغساسنة في بلاد الشام، حيث كانت مقرّا لحكم بعضهم. وأول إشارة وردت لاتخاذها عاصمة تنسب إلى الحاكم الغساني الحارث بن جبلة الذي حكم حوالي سنة 529م إلى نحو 569م[21].

ولا يوجد في المصادر والأخبار ما يمنع كونها مقرا للحكم قبله، وقد ذكر حسان ابن ثابت في شعره أن خاله مسلمة بن مخلد الذي اشتُهر بالخطابة قبيل الإسلام كان يزور النعمان ـ أحد ملوك الغساسنة ـ في الجابية[22]، مما يؤيد تعدد من اتخذ الجابية عاصمة من ملوك الغساسنة، وبالإضافة إلى هذا ما جاء في وصفها بأنها «جابية الملوك»[23]، لدلالة واضحة على كثرة من اتخذها منهم عاصمة له أكثر من غيرها من المناطق[24]، ووصفها على هذا النحو يدل على ملازمة ملوك الغساسنة وطول فترة حكمهم فيها.[25] ولا شك أن هناك أسباباً دفعت هؤلاء الملوك إلى اختيار الجابية مركزا للحكم، منها: الموقع المتوسط للجابية بين المناطق المختلفة التابعة لحكمهم[26]، والمناخ الصحي، وطيب هوائها، وصحة جوها. ويؤكد هذا ما جاء في بعض الروايات في صدر الإسلام أن طاعون عمواس لما أصاب المسلمين بالشام العام 18 هـ ـ 639م نزلوا

الجابية فَرُفع الوباء[27] وكذلك ما ورد أن بعض الخلفاء الأمويين مثل عبدالملك بن مروان كانَ يقضي فصل الخريف فيها[28]، ولعل طيب مناخها يرجع كما وصفها عمر بأنها أرض نزهة[29]، وكذلك حصانتها، فالطبيعة الجغرافية للجابية عبارة عن أرض تمتد على التلال[30]، مما يوفِّر لها حماية طبيعية تحصينية، بالإضافة إلى توافر المياه الجوفية والآبار فيها باعتبارها أشبه بالأحواض التي تتجمع المياه في أراضيها المنخفضة.

ويبدو أن الخلافات التي نشبت بين الروم والغساسنة في أواخر القرن السادس الميلادي في عهد الملك الغساني المنذر بن الحارث (حوالي 569م ـ 581م) الذي أسره الروم، ومواصلة أبنائه مواجهة الروم بقيادة أكبرهم النعمان بن المنذر (581م ـ حوالي 596م) والذي أسر هو الآخر على يدهم وتشرذم الغساسنة بعد أسْره وانقسامهم إلى خمس عشرة فرقة[31]، مما أدى إلى فقدانهم أو تركهم لها، حيث إن الغساسنة بعد المنذر غادروا ديارهم واتخذوا من البادية مركزاً للهجوم على المدن البيزنطية[32]. ولا يستبعد أن الروم احتلوا الجابية أيضا، يدل على ذلك أن الغساسنة لم يتخذوها بعد ذلك عاصمة لهم، حيث عرفت لهم عواصم أخرى مثل بُصْرى[33] وجلَّق وغيرها[34]، والدليل الذي يُعضد ذلك ما روى «بأن أحد المسلمين ـ أثناء الفتح ـ قتل في الجابية اثنين من البطارقة»[35]، وهذان البطريقان أرادا قتال المسلمين لحماية الجابية من أن تسقط في أيديهم، وفي هذا إشارة إلى وجود قوة رومية، وأنهم حاولوا الدفاع عنها باعتبارها أرضاً لإقامتهم، وفي المقابل لا نجد ذكراً لدفاع الغساسنة عنها عند مقدم المسلمين، مما يدل على عدم ـ أو ضعف ـ وجودهم بها، وأنها لم تكن خاضعة لسيطرتهم.

الجابية في العهد الإسلامي حتى سنة 18هـ ـ 639م

فتح الجابية

أرسل الخليفة أبو بكر الصديق أربعة جيوش لفتح بلاد الشام، كل جيش منها اختص بقطاع معين، جيش يزيد بن أبي سفيان كان مسؤولاً عن قطاع دمشق، وجيش شرحبيل بن حسنة كان مسؤولاً عن جبهة الأردن، وجيش عمروبن العاص كان مسؤولاً عن جبهة فلسطين، وجيش أبي عبيدة بن الجراح كان مسؤولاً عن جبهة حمص[36]، وهذه القطاعات الأربعة هي التقسيم الإداري الروماني لبلاد الشام عند

قدوم المسلمين إليها [37]. وكانت الجابية من نصيب أبي عبيدة في الفتح لوقوعها في طريقه لفتح حمص، وقد توجّه أبو عبيدة من المدينة ومر في طريقه على وادي القرى[38]، ثم الحجْر [39] ثم ذات المنار [40] ثم زيزا [41] ثم مر بمآب [42] حيث لاقاه جمع من الروم فهزمهم فانسحبوا إلى مدينتهم فحاصرهم، ثم رضوا بالصلح ثم واصل أبو عبيدة سيره حتى اقترب من مدينة الجابية فأتته الأخبار باستعداد قيصر الروم لمواجهة المسلمين الذين توغلوا في بلاده وقد اتخذ من أنطاكية مركزاً له لمحاربتهم [43] ثم واصل أبو عبيدة سيره إلى الجابية، ففتحها، واستقر بها، واتخذها قاعدة عسكرية له[44].

ونستنتج من الروايات القليلة التي وردت عن فتح الجابية [45] أنها كانت منطقة آهلة بالسكان، وأن فتحها كان عنوة وليس صلحاً [46]، حيث ورد أن أحد شجعان المسلمين، وهو قيس بن هبيرة، قد بارز اثنين من البطارقة في الجابية وقتلهما [47]، مما يدل على مقاومة أهلها ووقوع حرب وقتال، ومما يؤكد هذا أيضا أن المسلمين استباحوا أرضها، وهذا لا يكون إلا في الفتح عنوةً، ويدل إغفال المصادر عن التفصيل في المقاومة إلى عدم وجود مواجهة عسكرية عنيفة، وأن المسلمين لم يتكبدوا خسائر تُذكر عند فتحها، فيعتبر فتحها إلى حد كبير فتحا يسيراً، ولا نجد في المصادر تعييناً محدداً يتعلق بوقت فتح الجابية سواء في الشهر أو السنة، ونرجح فتحها في الوقت الذي شرع فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالإعداد والتجهيز لفتح الشام وإرسال الجيوش.

وهناك روايتان يذكرهما الطبري في هذا الموضوع.

الرواية الأولى: تبين أن أبا بكر بدأ بإرسال الجيوش لفتح الشام بعد موسم الحج لسنة 12 هـ ـ 632 م [48].

والرواية الثانية: في أول سنة 13 هـ ـ 634 م [49]، وقد أورد البلاذري [50] تحديدا دقيقا لوقت توجيه الجيوش، وهو يوم الخميس مستهل شهر صفر من سنة 13 هـ ـ فبراير 634م، ويظهر أن الاختلاف بين الروايات راجع إلى تقارب الفترة الزمنية بينها، فموسم الحج يقع في العشر الأوائل من ذي الحجة، وهو الشهر الأخير من السنة الهجرية وشهر صفر هو الشهر الثاني من السنة الهجرية، وبذلك يكون مقدار الخلاف في التوقيت يتراوح ما بين شهرين إلى ثلاثة أشهر، وتوفيقاً بين الروايات، فالمتوقع أن

أبا بكر الصديق بدأ بالنفير للجهاد ودعوة الناس للانضمام إلى جيش الشام بعد موسم الحج مباشرة، واستغرق هذا التجهيز ما يقارب شهراً إلى ثلاثة أشهر، وبه تنتهي سنة 12 هـ ـ 633م وتدخل سنة 13 هـ ـ و634م، وبناء على ذلك نرجح أن فتح مدينة الجابية ـ موضع الدراسة ـ وقع في الشهر الثاني أو الثالث من سنة 13 هـ ـ 634م أي في شهر صفر أو ربيع الأول، استناداً إلى مسافة الطريق، وأن أبا عبيدة لم يواجه مصاعب تُذكر تؤخره في سيره منذ انطلاقه من المدينة حتى وصوله للجابية باستثناء ما حصل له في مآب من قتال يسير، ثم حصار أذعنوا بعده ورضوا بالصلح [51].

ويظهر لنا افتراضان حول سبب استخدام أبي عبيدة الجابية قاعدةً له، يقضي الأول بأن الظروف أجبرت أبا عبيدة وجنده على اتخاذ الجابية مركزا عسكريّا لهم، ويقضي الثاني أنها كانت ضمن خطة مرسومة، ويدعم الافتراض الأول الرواية التي أوردها الأزدي بأن أبا عبيدة لما اقترب من الجابية جاءت الأخبار باستعدادات هرقل لقتال المسلمين [52]، مما يعني أن أبا عبيدة لا يمكنه مواصلة السير إلى حمص وفتحها، بل عليه أن يتريث في المسير، وأن يتعرف رأي الخليفة في هذا التطور الجديد على ساحة القتال، فالرواية تدل على أن أقرب نقطة ممكن أن يصل إليها هي الجابية لقربه منها، فما كان منه إلا أن وصل إليها وفتحها واستقر فيها ليواجه مستجدات الأحداث.

وتؤيد الافتراض الآخر ـ الذي نرجحه ـ عدة مسائل، منها أنه لا بد أن تكون هناك خطة عامة مرسومة تتحرك الجيوش المحاربة على ضوئها مع مراعاة مستجدات الأمور، ومن ضمنها اختيار مراكز للجنود لها صفات معينة تصلح كقاعدة عسكرية ينطلقون منها لتحقيق أهدافهم، والأمر الثاني ما أورده الطبري من خروج الجيوش الأربعة إلى الشام، وأن كل جيش نزل في منطقة محددة فنزل يزيد بن أبي سفيان البلقاء، ونزل عمرو بن العاص غمر العربات، ونزل شرحبيل بن حسنة الأردن ـ وقيل بُصرى ـ ونزل أبو عبيدة بن الجراح الجابية [53]، فظاهر الرواية يدل على أنه كان مقرراً على كل جيش الوصول إلى مركز معين ينزل فيه ويتخذه قاعدة لفتح القطاع المخصص له. والدليل الثالث أن الأحداث اللاحقة أكدت هذا الاختيار، فمع تغير ظروف الفتح لصالح المسلمين ظلت الجابية مركزاً لجيش أبي عبيدة، بل أصبحت قاعدة عسكرية لجميع الجيوش المحاربة في بلاد الشام ـ على ما سنبينه في هذا البحث ـ حتى انتهى

المسلمون من السيطرة على الشام كلها. ولعل من حُسن حظ أبي عبيدة وجنده أن التحركات البيزنطية بدأت في مرحلة التنفيذ عندما اقترب أبو عبيدة من قاعدته، فما كان منه إلا أن واصل سيره فافتتحها واستقر فيها، مما يعني أن سير الأحداث كان في صالح أبي عبيدة.

وهناك عوامل مختلفة جعلت الجابية قاعدة عسكرية لجند أبي عبيدة أولاً، ثم لجيوش الشام مجتمعة بقيادته أيضاً، منها أن الجابية غير موغلة في العمق في أراضي الشام وهي قريبة من الجزيرة العربية، مما يسهل وصول الإمدادات والنجدات من الجزيرة العربية إلى الجيوش المسلمة المتمركزة فيها. ويلحق بهذا السبب أنه لا تفصل حواجز طبيعية من أنهار أو جبال بينها وبين الجزيرة العربية، مما قد يعرقل أو يؤخر الإمداد، وكذلك فإن وقوع الجابية «على طرف البادية» [54] يوحي بمناسبتها للبيئة الطبيعية التي يعيش فيها العرب في الجزيرة العربية، ويضاف إلى هذا ما أوردناه من أسباب لاستخدام الغساسنة لها كعاصمة.

بدأ دور الجابية في الفتح بعد استقرار أبي عبيدة فيها، حيث أرسل منها رسالة إلى الخليفة أبي بكر الصديق يعلمه بتحركات الروم لحرب المسلمين [55] ـ كما قام بمثل ذلك باقي قادة الشام [56] ـ فطلب أبو بكر من خالد بن الوليد الذي كان يجاهد في العراق أن يتوجه إلى الشام أميراً على الجيوش هناك [57]، وخرج خالد مسرعاً إلى الشام، وأرسل إلى أبي عبيدة ـ الذي كان في الجابية ـ يخبره بقدومه إلى الشام [58]. في تلك الأثناء واستنادا إلى بعض الروايات فإن خالد بن الوليد لما قدم الشام توجه إلى بُصرى وفتحها صلحاً، ثم إلى دمشق وأقبل أبو عبيدة بن الجراح من الجابية وحاصر دمشق من جهة باب الجابية، وأخذ يشن الغارات على المناطق التي حولها [59]. وهذا يعتبر أول تحرك عسكري انطلق من الجابية للفتح الإسلامي [60].

وأثناء حصار دمشق جاءت أخبار إلى المسلمين بأن جيشاً من الروم يستعد لمهاجمة جيش شرحبيل بن حسنة في بصرى وأن جيشاً روميّاً آخر عسكر في أجنادين [61]، فقام خالد بن الوليد بإرسال رسائل إلى قادة الجيوش في الشام: يزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة يدعوهم إلى لقائه في أجنادين، ومضى هو بجيشه مع جيش أبي عبيدة إليها، حيث دارت فيها المعركة التي عرفت

بأجنادين سنة 13 هـ ـ 634م، وانتصر فيها المسلمون نصراً حاسماً [62].

وبعد انتصار أجنادين أخذت جيوش المسلمين تتحرك جميعا بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح الذي تولى القيادة العامة، وتتقدم في أراضي الشام شمالا ففتحوا دمشق وغيرها من المناطق حتى وصلوا إلى حمص وفتحوها، وقد انتهز المسلمون فرصة النصر في أجنادين لفتح أكبر أجزاء ممكنة من بلاد الشام.

ولم يكن هناك مبرر لأبي عبيدة أن يرجع إلى قاعدته في الجابية، ففي حمص جاءت الأخبار لأبي عبيدة تفيد بأن هرقل ـ امبراطور الروم (610 ـ 641م) المقيم في أنطاكية ـ يحاول تجميع طاقاته لخوض معركة فاصلة مع المسلمين [63]، فقرر المسلمون الانسحاب إلى دمشق [64]. ولكن في دمشق قرروا الانسحاب إلى الجابية، ويرجع سبب انسحابهم إلى الجابية دون غيرها من المناطق لعدة أسباب، نستنتج بعضها من قول أحد قادة الجند، وهو يزيد بن أبي سفيان، وذلك عندما استشار أبو عبيدة أمراء الجند في كيفية التعامل مع جيش الروم الذي يلاحق المسلمين ويتعقبهم في انسحابهم، قال يزيد: «أرى أن تخرج حتى تنزل الجابية، ثم تبعث إلى عمرو بن العاص فيقدم عليك بمن معه ثم نقيم للقوم حتى يقوموا علينا فنقاتلهم ونستعين بالله عليهم»، وقد وافق أبو عبيدة على هذا الرأي بعد أن استطلع الآراء الأخرى، وقال: «فإن شئتم نزلنا الجابية وبعثنا إلى عمرو بن العاص يقدم علينا ثم أقمنا للقوم نلقاهم بها» [65]، وعلى ضوء ذلك يمكن تلمس بعض الأسباب التي دفعت المسلمين للانسحاب من دمشق إلى الجابية، على النحو التالي:

1ـ تحاشي المسلمين مواجهة الروم حين كانت جيوشهم غير مكتملة، حيث كان عمرو بن العاص حينها مرابطاً في الأردن، وتعتبر الجابية في موقع قريب من جيش عمرو بن العاص، وبالتالي يضمن المسلمون تجمع جيوشهم كلها فيها فيواجهون الروم بأجمعهم [66].

2ـ اختيار الجابية مكانا للمعركة، ولعل هذا يرجع إلى طبيعة تضاريس أراضيها، وأنها منطقة مألوفة لديهم، وقد خبروا أرضها وعرفوها معرفة جيدة، فقد كانت مركزاً سابقاً لجيش أبي عبيدة.

3ـ ولا شك أيضاً أن من العوامل الضمنية لاختيار الجابية هو قربها من الجزيرة

العربية، وبالتالي يسهل وصول الإمداد إلى المسلمين من عاصمتهم المدينة [67].

بدأ المسلمون بالانسحاب تجاه الجابية، وترك عمرو بن العاص الأردن ومضى إليها، وانضم إلى إخوانه المسلمين فيها [68].

ثم وصلت جميع جيوش المسلمين إلى الجابية، وقد أصبح الروم قريبين منهم، وقد وصلت إلى المسلمين أخبار بنزولهم على أحد فروع نهر اليرموك، وهو نهر «الرواد» أو «الرقاد» [69].

ومن الملاحظ هنا أن الجابية أخذت تلعب دوراً كبيراً في مسرح أحداث الفتوحات، باعتبارها مكاناً لجميع الجيوش الإسلامية، وقد عقد فيها اجتماع مهم للتخطيط للمعركة الحاسمة مع الروم التي باتت قريبة، وفي هذا الاجتماع شارك قادة الجيوش ومن له خبرة بالحرب، وكان من المقرر أن يعسكر المسلمون في الجابية الموقع المرتقب للمعركة القادمة مع الروم، ولكن رأياً جديداً من أبي سفيان ـ الذي لم يشارك في اجتماع دمشق حيث تقرر فيه اختيار الجابية ساحة للمعركة ـ أدى إلى تبنّي القادة المجتمعين اقتراحه بمغادرة الجابية إلى منطقة أذرعات ـ درعا ـ بحيث تكون هذه المنطقة خلف أظهرهم، وهذا الرأي مبني على إيجابيتين غير متوافرتين في الجابية:

الإيجابية الأولى: أنه يمنع من وقوع المسلمين بين فكي الكماشة، أي بين جند الروم القادمين من أنطاكية، وأهل فلسطين والأردن الموالين لهم، والذين قد يناصرونهم في صراعهم ضد المسلمين.

الإيجابية الثانية: أن يضمن المسلمون أن لا يَحُول أهل فلسطين والأردن دون وصول مدد أو رسل الخليفة إليهم [70].

ويتضح من اقتناع المشاركين في الاجتماع بهذا الرأي الجديد أنه عندما تقرر اتخاذ الجابية مكاناً للمعركة في اجتماع دمشق لم يضع المسلمون في حسابهم دور أهل فلسطين والأردن في قلب موازين الصراع، خاصة بعد مغادرة جيش عمرو بن العاص، الذي كان مرابطا في تلك المناطق، وبالتالي يعتبر هذا الرأي هو أكثر حرصاً وأخذاً بأسباب النصر، وهو الرأي الذي أشار إليه أبو سفيان كما أسلفنا.

انسحب المسلمون «ونزلوا خلف اليرموك وجعلوا أذرعات خلف ظهورهم» [71]،

وهو المكان الذي دارت فيه معركة اليرموك الشهيرة سنة 15 هـ ـ 636م والتي انتصر فيها المسلمون [72]. وبعد المعركة رجع المسلمون إلى الجابية وعسكروا فيها واتخذوها قاعدة عسكرية لجميع جيوشهم، وتخلوا عن باقي قواعدهم العسكرية.

ولا نجد ذكراً في المصادر المتاحة عن خطط القبائل التي استقرت في الجابية أثناء الفتح الإسلامي لها، وإن كان المتوقع أنه يشابه التخطيط العام للمدن العسكرية التي أنشئت في عهد عمر بن الخطاب، كالكوفة [73]، والفسطاط [74]، من حيث تحديد موقع المسجد الذي يبنى بجانبه دار الإمارة، ويوزع الجنود على شكل وحدات قبلية حول المسجد ودار الإمارة.

ومن المرجَّح أنَّ المسلمين لم يسكنوا في المنطقة المعمورة من منطقة الجابية، وهو الأمر الذي يتشابه مع وضع عمرو بن العاص الذي خطَّ خططاً خاصة للقبائل التي كانت معه في منطقة الفسطاط، ولم يسكن في العمران منها [75]، ولذا أنشأ المسلمون في منطقة الجابية لأنفسهم دوراً مؤقتة من الوبر أو الشعر أو الصوف، وهذا بناءً على رواية وردت أن قادة المسلمين اجتمعوا في الجابية لمواجهة الروم قبل معركة اليرموك في خباء [76] أحد القادة وهو يزيد بن أبي سفيان [77]، ويبدو أنهم سكنوا في المنطقة المرتفعة من الجابية وليس في الأراضي المنخفضة منها، ويدل على ذلك ما ورد أن الخليفة عمر بن الخطاب خطب على أحد تلالها فعرف بـ «تل الجابية» [78]، وكذلك فإن الأراضي المرتفعة تعتبر أنسب من الناحية العسكرية وذلك لكشف تحركات الأعداء، وصلاحها للدفاع والمواجهة، خاصة أن الجابية استخدمت كقاعدة عسكرية.

زيارات الخليفة عمر بن الخطاب للجابية

زيارة عمر الأولى للجابية وتنظيماته فيها

قَدمَ الخليفة عمر بن الخطاب إلى الجابية العام 16هـ ـ 637م [79]" وقد اختلفت المصادر في أسباب الزيارة، فقيل إنها جاءت بناءً على طلب أهل بيت المقدس الذين حاصرهم أبو عبيدة بعد معركة اليرموك أن يقدم أمير المؤمنين ليفتحها صُلحاً [80]، وقيل إنه قدم لتقسيم ما فتح المسلمون من الأراضي [81]، وقيل إن أمراء الجند لما اجتمع عندهم الفيء أرسلوا إلى عمر أن يقدم إليهم لتوزيعه [82]. ويظهر أن السبب المباشر الراجح هو قدومه لفتح بيت المقدس، وذلك لتواتر هذا السبب في المصادر. ومما يؤكد

هذا القول الأخير ما حصل من نقاش في المدينة ـ عاصمة الخلافة ـ عندما أتى الخبر من أبي عبيدة المحاصر لبيت المقدس إلى الخليفة عمر بخصوص طلب أهل بيت المقدس أن يقدم الخليفة بنفسه لفتحها [83]. وأما الأقوال الأخرى المذكورة فلا شك أنها كانت ـ مع غيرها ـ من نتائج تلك الزيارة، وقد أقام عمر في الجابية عشرين ليلة [84] قام خلالها بإجراءات تنظيمية مختلفة لضمان إحكام السيطرة على بلاد الشام.

ولا بد قبل التطرق لهذه الإجراءات من التمييز والفصل في إجراءات عمر المختلفة حسب كل زيارة، حيث إن عمر زار الجابية أكثر من مرة. ويلاحظ أن المصادر خلطت بين أعمال عمر في الزيارة الأولى التي كانت بعد معركة اليرموك سنة 16هـ ـ 637م، والأخرى التي كانت بعد طاعون عمواس سنة 18هـ ـ 639م. ونعتقد أن السبب في هذا الخلط هو تقارب الزمن بين هاتين الزيارتين، وأن كلتيهما كانت إلى الجابية، وبالمقارنة بين هذه الروايات وقياسها على الظروف والأحداث الجارية خلالها فإنه بالإمكان أن ننسب كل عمل وإجراء إلى الزيارة المختصة به.

لقد أورد أبو زُرعة أن عمر بن الخطاب قدم إلى الشام بعد طاعون عمواس سنة 18هـ ـ 639م «حتى أتى الجابية فاجتمع عليه المسلمون، ورفع إليه أمراء الأجناد ما اجتمع عندهم من أموال، فجنّد الأجناد، ومصّر الأمصار، ثم فرض الأعطية والأرزاق، ثم قفل إلى المدينة» [85].

وذكر الطبري في رواية له أوردها بعد طاعون عمواس أن عُمر خطب في الناس لما أراد القفول الى المدينة وكان مما قاله: «قسطنا بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم وأبلغنا ما لديكم، فجندنا لكم الجنود، وهيأنا لكم الفروج، وبوأناكم، ووسعنا عليكم ما بلغ فيئكم، وما قاتلتم عليه من شامكم، وسمينا لكم أطماعكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم» [86]. فهذه الروايات وما في معناها لا يمكن أن تنسب إلى زيارة عمر الأخير للجابية التي كانت بعد طاعون عمواس ولكنها تتعلق بزيارته الأولى للجابية وذلك للأسباب التالية:

1- وردت روايات أخرى تذكر فرض الأرزاق وتوزيع العطاء ولكن ألحق فيها ذكر معاذ بن جبل، فقال عمر: «من أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل» [87]،

ومعاذ توفي في طاعون عمواس، ولم يشهد زيارة عمر الأخيرة للشام [88]. وفي رواية أخرى يذكر فيها أيضاً ما يتعلق بالعطاء ولكن تتضمن الرواية نفسها اعتذر عمر عن عزل خالد بن الوليد وتأمير أبي عبيدة بن الجراح [89]، وأبو عبيدة كما هو معروف استشهد في طاعون عمواس، ولم يشهد زيارة عمر بعد طاعون عمواس أيضاً [90].

2- وفيما يتعلق بتجنيد الأجناد وتوزيع المسلمين عليها، فقد جاءت روايات أخرى تبين أن ذلك قد تم قبل هذه الزيارة، فقد أورد الطبري روايات أخرى يذكر فيها أن عُمر في زيارته للشام «سد فروج الشام ومسالحها، واستعمل عبدالله بن قيس على الساحل... وأمَّر أبا عبيدة وخالداً تحته» [91]، وفي رواية ثانية فيها تفصيل أكثر لتوزيع الأمراء على قطاعات الشام، فتذكر الرواية أنه بعد رجوع عمر من الشام إلى المدينة كان على حمص أبو عبيدة وخالد تحت يديه قنسرين، وعلى دمشق يزيد بن أبي سفيان، وعلى الأردن معاوية، وعلى فلسطين علقمة بن مجزّر، وعلى الأهراء - المخازن - عمرو بن عنبسة، وعلى سواحل الشام عبدالله بن قيس [92]، فورود اسم أبي عبيدة الجراح أميراً، وكذلك يزيد بن أبي سفيان الذي توفي في طاعون عمواس [93] مما يرجح أن ذلك تم في زيارة عمر الأولى .وما يؤكد هذا المعنى أيضاً ما ورد عن محاولة الروم استعادة حمص سنة 17هـ - 638م، وكان فيها أبو عبيدة وجنده فأرسل الخليفة إلى باقي الأمصار من خارج الشام لنجدة أبي عبيدة، ولم يطلب من المسلمين في أجناد الشام الأخرى نجدة إخوانهم في حمص خوفاً من أن تنتقض عليهم أقاليم الشام [94]. ولا شك أن هذه الرواية تحمل دلالة على توزيع الأجناد قبل زيارة عمر الثانية بعد طاعون عمواس.

ويُضاف إلى ذلك أن انتصار المسلمين في معركة اليرموك قضى على قوة الروم الرئيسة داخل الشام، ولم تعد هناك مقاومة كبيرة تحول دون تقدم المسلمين في الشام والسيطرة عليها. وعندما وصل عمر إلى الشام في زيارته الأولى سنة 16هـ -637م كانت معظم مناطق الشام قد فتحت، ولذا اقتضى الأمر تنظيم وجود المسلمين فيها والقيام بالإجراءات التي تضمن استمرار السيطرة عليها، فليس هناك مسوغ قوي لتأجيل ذلك إلى ما بعد طاعون عمواس.

أما الإجراءات التنظيمية التي قام بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله

عنه في هذه الزيارة فهي كالتالي:

1ـ فتح بيت المقدس: فالجابية شهدت حدثاً مهمّا في التاريخ، وهو قدوم وفد من بيت المقدس يطلب الأمان وعقد الصلح مع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعد الصلح انطلق عمر من الجابية إلى بيت المقدس [95].

2ـ تجنيد الأجناد وتمصير الأمصار: [96] إن الخطة الأولى التي وضعها الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه كانت إرسال أربعة جيوش لفتح القطاعات الأربعة الرئيسة في الشام، ولكن الظروف التي واجهت المسلمين في حربهم مع الروم أدت إلى تغيير الخطة بحيث يتحرك المسلمون كجيش واحد لمواجهة جموع الروم الكثيرة، ولكن لما تم الانتصار على الروم في معركة اليرموك وانتهت المقاومة الرئيسة لهم، أصبح من الضروري إحكام السيطرة على الشام بأرضها الواسعة، وذلك عن طريق توزيع الجنود على قطاعاتها الأربعة وهي: قطاع دمشق، وقطاع فلسطين، وقطاع الأردن، وقطاع حمص، كما قام عمر رضي الله عنه بسد الثغور البرية والبحرية بالجنود[97] لصد أي هجوم خارجي زيادة في الاحتياط وإحكام السيطرة.

3ـ إقرار نظام الشواتي والصوائف: [98] وهو عبارة عن حملات عسكرية تخرج من بلاد المسلمين، وتغير على بلاد العدو مرة في الشتاء وأخرى في الصيف. ويظهر أن عمر أراد توسيع حدود المسلمين وضم أجزاء أخرى من بلاد الروم بهذا النظام من جهة، وإلقاء الرهبة والرعب في قلوب الروم، وإظهار المسلمين بمظهر القوة من جهة أخرى، ولا يستبعد أن الخليفة عمر توقع أن الروم لن يكفوا عن الهجوم على حدود الشام فكان لا بد من مواجهة هذا الهجوم بهجوم مضاد، وقد بدأ التنفيذ عمليّا لهذا النظام بعد إقراره، وذلك بعد زيارته الأولى للجابية.

فقد أورد الطبري أن عياض بن غنم، وخالد بن الوليد تزعما صائفة للمسلمين سنة 17 هـ ـ 638 م انطلقت من الجابية ودخلت بلاد الروم وأوغلوا فيها وغنموا غنائم كثيرة [99]، وفي المقابل فإن الروم أخذوا يشنون الهجمات على بلاد الشام حيث رُوي أن أحد قادة الروم المشهور بلقب «أرطبون الروم» كان قد هرب الي بلاد الروم بعد فتح المسلمين الشام ومصر، وأخذ يقود صوائف الروم ضد المسلمين، والتقى في أحدها مع صائفة للمسلمين وقتله أحد المسلمين [100].

4 ـ فرض الأعطيات والأرزاق: بحسب أسبقيتهم في الإسلام وقربهم من الرسول (صلى الله عليه وسلم) [101]، ويظهر أن مصدر هذه الأموال ما اجتمع للمسلمين من فيء وخراج وجزية.

5 ـ تقسيم غنائم اليرموك بين المشاركين في هذه المعركة[102].

6 ـ إقرار الأراضي التي فتحها المسلمون عنوة في أيدي أصحابها: وفرض الخراج عليها بدلاً من توزيعها على المقاتلين [103].

7 ـ بيان سبب عزل خالد بن الوليد عن القيادة العامة للجيش وتولية أبي عبيدة ابن الجراح مكانه [104]، ويعكس هذا حرص عمر على مراعاة الذين كانوا يرغبون بالقتال تحت رايته واستمراريته في القيادة العامة للجيش إيماناً منهم بكفاءته في القتال دون غيره من القادة، حيث يظهر أن مشاعر العتب مازالت قائمة في نفوس البعض، مع أن قرار عزله عن القيادة العامة قد تم منذ تولي عمر الخلافة سنة 13 هـ ـ 634 م، واتضح هذا من اعتراض أحد المسلمين على عزل خالد عندما كان عمر يوضح سبب العزل في خطبته[105].

8 ـ عزل أحد قادة الجيوش الأربعة وهو شُرحبيل بن حسنة قائد الجيش الذي فتح الاردن: واستبدال معاوية بن أبي سفيان به، وسبب ذلك كما بيَّنه عمر أنه أراد أن يختار رجلاً أقوى من رجل [106]، وهو ما يدل علي حرص عمر على استعمال الأكفأ في الولايات.

لا شك أن هذه الإجراءات التي اتخذها الخليفة عمر بن الخطاب في الجابية تؤكد أهمية المدينة في الفترة التي تلت المعارك الكبرى مع الروم، حيث أكدت هذه الزيارة انضمام بلاد الشام إلى الدولة الإسلامية واعتبارها جزءاً لا يتجزأ منها.

زيارة عمر الثانية للجابية

وتكررت زيارات عمر الشام تبعاً لمستجدات الأمور فيها، فقد كانت الزيارة الثانية للخليفة عمر للشام سنة 17 هـ ـ 638 م، ولكن اختلف في وصوله للجابية [107] أو إلى منطقة سرْغ [108] الحدودية بين الشام والحجاز [109]، وذلك عند خروجه من المدينة لنجدة أبي عبيدة بن الجراح الذي كان مقيماً في حمص، حيث حاول إمبراطور

الروم بالاتفاق مع أهل الجزيرة ـ الفراتية ـ مهاجمة المسلمين فيها [110]، والراجح أنه وصل للجابية لورود رواية تذكر أن أبا عبيدة أرسل إلى عمر بن الخطاب عندما كان مقيماً بالجابية يخبره بالفتح والانتصار، ويستفسر عن حكم عطاء أهل الكوفة الذين خرجوا لنجدة المسلمين في حمص ولكنهم وصلوا بعد هزيمة الروم وانتهاء المعركة[111]. ورواية أخرى تذكر أن عمرا لما نزل الجابية أرسل حبيب بن مسلمة مدداً لعياض بن غنم الذي كان يحارب في الجزيرة [112]، وثالثة أن أبا عبيدة أرسل إلى عمر ابن الخطاب بعد انصرافه من الجابية يطلب منه أن يضم إلى جنده القائد عياض بن غنم[113]، وفي المقابل لا نجد روايات تنسب مثل هذه الأحداث إلى سَرْغ، وهذه الروايات يؤكد بعضها بعضاً في وصوله إلى الجابية وليس سَرْغ [114].

ونستنتج من هذه الروايات أن هذه الزيارة كان لهدف معين وهو إغاثة المسلمين في حمص.ولما وصلت إلى عمر الأخبار وهو بالجابية بانتصار المسلمين على الروم في حمص ترك الجابية ورجع للمدينة ولم يقم بأي إجراءات إدارية أو تنظيمية سوى ما اقتضاه واقع الحال من رد جواب أبي عبيدة بخصوص إشراك أهل الكوفة في الغنائم من عدمه، فأجابه عمر بإشراكهم في الغنيمة [115]، وأرسل حبيب بن مسلمة لنجدة عياض بن غنم الذي كان يحارب في الجزيرة الفراتية لحاجته لذلك بعد هزيمة الروم في حمص [116].

زيارة عمر الثالثة للجابية

وزيارة عمر الثالثة والأخيرة إلى الجابية كانت بعد طاعون عمواس في سنة 18 هـ ـ 639 م، وسبب قدومه كتابة من كان بالشام إليه في إشكالية توزيع الإرث بين الناس لكثرة الموتى بينهم بسبب الوباء الذي عرف بطاعون عمواس [117] لابتدائه بهذه المنطقة ثم انتشاره في الشام كلها [118]. والحقيقة أن ذلك كان السبب المباشر لابتدائه بالشام دون غيرها من البلدان، حيث إن الخليفة كانت له خطة استراتيجية بزيارة أمصار المسلمين للإشراف على سير الأمور فيها بنفسه وإبداء رأيه فيما فيه مصلحة المسلمين، وهذا ما صرح به عمر بقوله: «ضاعت مواريث الناس بالشام فأبدأ بها، فأقسم المواريث، وأقيم لهم ما في نفسي ثم أرجع أتقلب في البلاد، وأنبذ إليهم أمري» [119].

ولعل اختيار الجابية دون غيرها من المدن للالتقاء بالأجناد يعود لقربها من

الجزيرة العربية وهي الجهة التي قدم منها الخليفة، والجابية نقطة التقاء وسط، خاصة بين جند الأردن، وجند فلسطين، وجند دمشق. وأما الإجراءات التي اتخذها عمر في الجابية في هذه الزيارة فأولها تقسيم المواريث «فورّث بعض الورثة من بعض، ثم أخرجها إلى الأحياء من ورثة كل امرئ منهم» [120]، ويبدو أيضاً ـ استناداً إلى بعض الروايات ـ أن قرار فتح مصر اتُّخذَ في الجابية، حيث ورد أن عمرو بن العاص طلب من الخليفة عمر عندما كان في الجابية أن يأذن له في فتح مصر، فأذن له، ومن الجابية انطلق عمرو بجنده إلى مصر [121].

اضمحلال أهمية الجابية

إن أهمية الجابية بدأت بالاضمحلال بعد زيارة عمر الأولى للجابية سنة 16 هـ ـ 637 م. والسبب في ذلك أن الخليفة في هذه الزيارة قسّم الشام أمصاراً وأجناداً [122]، ووزع جيوش المسلمين عليها. وقد بدأ التنفيذ العملي لهذا الإجراء بعد هذه الزيارة [123]، فخلت الجابية من الجند، ولم تعد قاعدة عسكرية للمسلمين لانتهاء دورها العسكري الذي استدعاه ظرف الفتوحات في بلاد الشام، وانتهت أهميتها في عهد الراشدين بعد زيارة الخليفة عمر الأخيرة لها بعد طاعون عمواس سنة 18 هـ ـ 639م، حيث لم يعد بعدها للجابية أهمية تذكر في هذا العهد.

ومن اللافت للنظر أن المراكز العسكرية التي أنشئت في العراق «البصرة» و«الكوفة»، وفي مصر «الفسطاط» في عهد الخليفة عمر بن الخطاب تحوّلت مع مرور الزمن إلى عواصم ومراكز إدارية للحكم أي أنها صارت «أمصاراً» على حين أن الجابية ـ مع أنها اتخذت مركزاً عسكريّا ـ لم تتحول إلى مصر أو عاصمة. وتفسير ذلك أن اختيار المسلمين للجابية أثناء الفتوحات كان محصوراً في الشؤون العسكرية فقط، ولم يُنظر لها كمركز حكم وإدارة، ولذا تخلّى المسلمون عنها بانتهاء دورها العسكري، ويرجع هذا إلى مراعاة المسلمين لطبيعة المراحل، فمرحلة الفتح لها ظروفها ومتطلباتها التي تختلف عن مرحلة السيطرة والاستقرار.

ومن ذلك ما رأيناه أثناء فتح العراق مثلاً، فقد استخدمت الحيرة [124] في بداية الفتوحات كقاعدة عسكرية ينطلقون منها للفتح ويعودون إليها، وبعدها استخدموا المدائن [125]. ولكن مع تطور الأحداث والسيطرة على العراق تركوها وبحثوا عن

مناطق أخرى لإقامة المقاتلين الدائمة.

فقد أرسل عمر إلى أحد قادة الفتح في العراق «سعد بن أبي وقاص» يدعوه أن «يتخذ للمسلمين دار هجرة» [126] أي مكاناً يصلح للإقامة الدائمة لجنده، حيث استقر الأمر بعدها باختيار موقع الكوفة الذي أصبح مركزاً عسكريّا للجند وإداريّا لإدارة المناطق التي تتبع الكوفة، وهذا يتشابه مع وضع الشام، فالجابية كانت مركزاً عسكريّا مؤقتاً انتهى دوره بعد السيطرة على الشام فراعي الخليفة متطلبات المراحل. ويشهد الواقع التاريخي سواء بالنسبة للعراق، أو مصر، أو الشام بأن المناطق التي حُدّدت لإقامة الجُند الفاتحين بصورة دائمة كانت مركزا للحكم وإدارة المناطق التابعة لهم والإشراف عليها وضبط الأمور فيها، ولم تكن قواعد عسكرية تقتصر مهمتها على الشؤون العسكرية.

ولا يستبعد أن وجود الجابية كمدينة قريبة من دمشق ذات المركز الإداري والحضاري المهم منذ فترة ما قبل الإسلام أفقدها [127] أهميتها التي أبرزتها ظروف الفتح الأول وجعلتها تابعة لهذا المركز [128] بعد استقرار أوضاع المسلمين في الشام، وإتمام السيطرة عليها [129].

الخاتمة

درس البحث بشيء من التفصيل مدينة لم تحظ بدراسة شاملة تناسب أهميتها في فتوحات صدر الإسلام، وتوصلت بالتالي إلى عدد من النتائج أبرزها أن الجابية لعبت دوراً مهمّاً في فتح بلاد الشام، باتخاذها قاعدة عسكرية لتجمع الجيوش العربية الإسلامية والانطلاق منها للفتوحات، وبجعلها مركزاً لاجتماع القيادة والتنظيم الإداري، مما أدى إلى إحكام السيطرة الكاملة على بلاد الشام.

وحلل البحث الأسباب التي حالت دون تمصير الجابية أسوة بغيرها من القواعد العسكرية التي مصرت.

وبينت الدراسة أن خطوات الفتح الإسلامي للشام لم تكن عشوائية، بل كانت ضمن خطة استراتيجية واضحة، اتسمت بالتدرج في فتح المناطق وتثبيت الوجود الإسلامي فيها، ولذا اتخذ الفاتحون القواعد العسكرية في مواقع معينة بالاعتماد على

مواصفات عسكرية واستراتيجية دقيقة، مما يدل على معرفة المسلمين التامة بطبيعة أرض العدو، وجغرافيتها، وتضاريسها، ومناخها، فحددوا على ضوء ذلك كله مواقع قواعدهم العسكرية، وعلى اتخاذ الاحتياطات اللازمة والعمل بالأسباب المادية الضرورية، مما كان له أكبر الأثر في تحقيق النصر وإنجاز الفتح.

الهوامش والمراجع

(1) انظر: إبراهيم بيضون: مؤتمر الجابية، **المؤتمر الدولي الرابع بلاد الشام** (بلاد الشام في العصر الأموي)، عمّان: 1989.

(2) الأزهري، محمد بن أحمد (ت. 370 هـ ـ 980م): **تهذيب اللغة**، ، جـ 11، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 15 جزءاً، القاهرة: بدون تاريخ، ص 214. ياقوت بن عبدالله الحموي (ت 626 هـ ـ 1229م): **معجم البلدان**، جـ 2، 5 أجزاء، بيروت، 1989، ص 91. ابن منظور. محمد بن مكرم (ت 711هـ ـ 1311 م): **لسان العرب**، جـ 614، 15 جزء آ، بيروت: 1975، ص 128 ـ 130.

(3) - H.Lammens, J. Sourdel Thomine, art. ". Al ` Djabiya" (2), vol. 2p. 360.

(4) عبدالله بن عبدالعزيز البكري (ت 487 هـ ـ 1094م): **معجم ما استعجم**،جـ 2، تحقيق مصطفى السقا، 4 أجزاء ، القاهرة: 1945 ـ 1951، ص 355، 404.

(5) معجم ما استعصم، جـ 2، ص 355، 404.

(6) علي بن الحسين المسعودي (ت 345 هـ 956 م): **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، جـ2، 4 أجزاء، بيروت: 1982، ص 109. جواد علي، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جـ 3، 10 أجزاء، بيروت: 1980، ص428 ـ 441.

(7) معجم ما استعصم، جـ 2، ص 477. **ديوان حسان بن ثابت**، (ت 54 هـ ـ 674م)، تحقيق سيد حنفي حسنين القاهرة:1974، ص 81. معجم البلدان، جـ 2، ص 91.

(8) لابد من التقرير ابتداءً بأن الراجح أنه لا يوجد موقع يطلق عليه اسم الجابية إلا المنطقة محل الدراسة لأنه قد يُفهم من شعر حسان بن ثابت بأن هناك أكثر من منطقة تسمى الجابية، وذلك في قوله «بين الجوابي» أو قول البكري عند شرحه لبيت الشعر هذا «الجوابي: جابية الجولان وغيرها»، ولكن لا نجد عند البكري أو غيره من المصادر اسماً لجابية أخرى، ولعل حسان أراد في شعره المعنى اللغوي لكلمة «الجوابي» أي المناطق التي هي أشبه بالأحواض الكبيرة وليس مواقع جغرافية بعينها أو قصد منطقة «الجوابي» التي هي موضع في بلاد الشام في ديار بني الحارث بن بكر، انظر: معجم ما استعجم، جـ 2، ص 401، 477.

(9) معجم البلدان، جـ 2، ص 91.

(10) الجيدور «كورة من نواحي دمشق فيها قرى وهي في شمالي حوران، ويقال إنها والجولان كورة واحدة» راجع: معجم البلدان، جـ 2، ص 197.

(11) الجولان قال ياقوت «قرية وقيل جيل من نواحي دمشق، ثم من عمل حوران» معجم البلدان، جـ 2، ص 188.

(12) مَرج الصُفّر، موقع في بلاد الشام جنوبي مدينة دمشق.

(13) حَوران، ذكر ياقوت أنها «كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة»، معجم البلدان، جـ 2، ص 317.

(14) الصنمان «قرية من أعمال دمشق في أوائل حوران بينها وبين دمشق مرحلتان». معجم البلدان، جـ 5، ص 431.

(15) نوى: «بُليدة من أعمال حَوْران وقيل هي قصبتها بينها وبين دمشق منزلان». معجم البلدان، جـ 5، ص306.

(16) عبدالعزيز الدوري، «العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام» **المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام من القرن السادس حتى القرن السابع عشر**، بيروت: 1974،ص 26.

- H.Lammens, J. Sourdel Thomine. art. " Al ` Djabiya" (2), EI2 vol. 2p. 360

(17) معجم البلدان، جـ 2، ص 91.

(18) الذهبي، محمد بن أحمد (ت 748 هـ 1374م): **سير أعلام النبلاء**،جـ2، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، الطبعة الثانية، 25 جزءا، بيروت:1993، ص 461.

(19) معجم ما استعجم، جـ2، ص 225. معجم البلدان، جـ2، ص 91.

(20) أحمد بن يوسف القرماني (ت1019 هـ 1610م): **أخبار الأول وآثار الدول**، جـ 1، تحقيق فهمي سعد وآخر، 3 أجزاء، بيروت: 1992، ص112.

(21) حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت 360 هـ 970م) : **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، بيروت:بدون تاريخ، ص 94، يعتبر الأصفهاني الحارث بن جبلة هو الحاكم الخامس والعشرين من حكام الغساسنة الذين عددهم اثنان وثلاثون حاكماً، تاريخ، ص 89 ـ 96. وانظر : في وقت حكمه، المفصّل، جـ3، ص403.

(22) ديوان حسان، ص80، 81. عمرو بن بحر الجاحظ (ت 225 هـ 869م)، **البيان والتبيين**، جـ 1، تحقيق عبدالسلام هارون، 4 أجزاء، القاهرة: 1948 ـ 1950 ، ص360، جـ2، ص 325، جـ4،ص 58.

(23) معجم ما استعجم، جـ2، ص355، 404، 477. معجم البلدان، جـ2، ص 92. لسان العرب، جـ14، ص129، 130.

(24) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت 284هـ 897م): **تاريخ اليعقوبي**، جـ 1، جزءان، بيروت: 1980، ص 207.

(25) وانظر أيضاً: المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (بلاد الشام في العهد الأموي) ، ص 143، 144.

(26) انظر:
- E - A - Knauf, " Aspects of historical Toppgraphy relating The Battles", Proceedings of the second symposium of the history of bilad - Sham during the early Islamic period to 40 A.H - 640 A.D. The fourth international conference on the history of bilad al - Sham English and french papers Amman, 1987 vol.I, P.77.

(27) الطبري، محمد بن جرير (ت 310 هـ 1922م) : **تاريخ الأمم والملوك**، جـ 4، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عشرة أجزاء، بيروت: 1960، 1971، ص61.

(28) البلاذري، أنساب، جـ 11، ص 200، عبدالملك بن مروان: أحد الخلفاء الأمويين، تولى الخلافة من سنة 65 هـ 684م إلى سنة 86 هـ 705. **تاريخ اليعقوبي**، جـ 2، 269، 281.

(29) ابن عساكر، علي بن الحسن (892م)، **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**، جـ 7، تحقيق عبدالقادر بدران، 7 أجزاء، بيروت: 1979، ص 167.

(30) - H.Lammens, J. Sourdel Thomine, art. " Al Djabiya"EI2, vol. 2,p. 36.

(31) المفصّل، جـ 3، ص 415، 417.

(32) المفصل، جـ 3، ص 417. السيد عبدالعزيز سالم، **تاريخ الدولة العربية**، بيروت: 1986، ص 151.

(33) محمد بن عمر الواقدي (ت 107 هـ 822م)، **المغازي**، جـ 2، تحقيق مارسدن جونس، ثلاثة أجزاء، بيروت: 1965 ، ص 755. ابن هشام أبو محمد عبدالملك (ت 212 هـ 828م): **السيرة النبوية**،جـ4، تحقيق مصطفى وآخران، 4 أجزاء، القاهرة: ص 607. بُصرى، هي مدينة «من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حَوْران» . معجم البلدان، جـ1، ص 441.

(34) تاريخ اليعقوبي، جـ1، ص 207، اختلف في موقع جلّق على عدة آراء يذكرها ياقوت بأنها «اسم لكورة الغوطة كلها، وقيل بل هي دمشق نفسها، وقيل جلق موضع بقرية من قرى دمشق» معجم البلدان، جـ 2، ص 154.

(35) محمد بن عبدالله الأزدي (ت نحو 165 هـ 781م): **فتوح الشام**، تحقيق عبدالمنعم عبدالله عامر، القاهرة: 1970، ص 27. البطريق: لقب يطلقه المسلمون على من كان له شرف ومكانة عند الروم.

(36) تاريخ الأمم والملوك، جـ 3، ص 394. تهذيب تاريخ دمشق، جـ 1، ص 171.

(37) محمد بن أبي طالب الدمشقي (ت 727 هـ 1326): **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ليبزغ: 1923، ص 192.

- M.A.Shaban, Islamic History A.D600 - 750, Cambridge P. 4.

AJH
99

(38) وادي القرى: «واد بين الشام والمدينة، وهو من أعمال المدينة به قرى كثيرة»، معجم البلدان، جـ 4، ص 338، جـ 5، ص 345.

(39) الحجْر: اسم لمنطقة كان يقطنها قوم عاد وثمود بين المدينة والشام. معجم ما استعجم، جـ 2، ص 426. معجم البلدان، جـ 2، ص 221.

(40) ذات المنار: «موضع في أول أرض الشام من جهة الحجاز». معجم البلدان، جـ 3، ص3.

(41) زيزا أو زيزاء: «إحدى القرى الكبيرة في منطقة البلقاء». معجم البلدان، جـ 3، ص 163، والبلقاء: «كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة». معجم البلدان، جـ 1، ص498 .

(42) مآب: «هي مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء». معجم البلدان، جـ 5، ص 31.

(43) فتوح الشام، ص 29، 30.

(44) فتوح الشام، 27 ـ 30، 67، 84. البلاذري أحمد بن يحيى (ت 279هـ ـ 892م): **فتوح البلدان**، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة: بدون تاريخ، ص 133. تاريخ الأمم والملوك، جـ 3، ص 406.

(45) معجم ما استعجم، جـ 2، ص 672، الحميري، الروض، ص 269.

(46) الفتح صلحاً: هو الفتح الذي يتحدد فيه ملكية الأرض إما للمسلمين أو تترك في أيدي أصحابها حسب عقد الصلح، والفتح عنوة، هو الذي يؤول فيه كل ما يملكه العدو إلى ملكية المسلمين، انظر التفصيل: وهبة الزحيلي: **آثار الحرب في الفقه الإسلامي**، الطبعة الرابعة، دمشق: 1992، ص 556 ـ 580.

(47) فتوح الشام، ص 27.

(48) تاريخ الأمم والملوك، جـ 3، ص387.

(49) تاريخ الأمم والملوك، جـ 3

(50) فتوح البلدان، ص 128.

(51) فتوح الشام، ص 29.

(52) فتوح الشام، ص 29، 30.

(53) تاريخ الأمم والملوك، جـ 3، ص 406.

(54) العرب والأرض، ص 26، إن اشتراط هذه الأسباب الثلاثة الأولى في المراكز العسكرية ظهرت بوضوح في عهد عمر بن الخطاب، انظر: فتوح البلدان، ص 338، 339. تاريخ الأمم والملوك، جـ 3، ص 591، 594، جـ4، ص 40 ـ 42، ابن عبد عبدالحكم عبدالرحمن (ت 257 هـ ـ 871م): **فتوح مصر وأخبارها**، ليون: 1920، ص 91، إبراهيم العدوي: **تاريخ العالم الإسلامي**، جـ1، « عصر البناء والانطلاق»، ص 116 ـ 117.

(55) فتوح الشام، ص 67.

(56) أبو زرعة عبدالرحمن بن عمر (ت 281 هـ ـ 194م): **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**، جـ 1، تحقيق شكر الله بن نعمة الله، جزءان، ص 172.

(57) فتوح الشام، ص 68. تاريخ أبي زرعة، جـ 1، ص 178، وقد وردت روايات أخرى ذكرها الطبري تبين أن خالد ابن الوليد أرسل لإعانة المسلمين وليس أميراً على جيوش الشام، تاريخ الأمم والملوك، جـ 3، ص 394 ـ 396.

(58) فتوح الشام، ص 71، 72.

(59) الروايات بشأن قدوم خالد بن الوليد من العراق إلى الشام، وهل مرّ على بُصرى أولاً أم الجابية أم دمشق فيها اضطراب كثير وتعارض بينها وهي ليست مجال بحثنا. انظر: فتوح الشام، ص 81 ـ 84. خليفة بن خياط (ت 240 هـ ـ 854م): **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم العمري، الطبعة الثانية، بيروت: 1977، ص 119. تاريخ أبي زرعة، تاريخ، جـ 1، ص 135.

وأما ما يتعلق بما أثبتناه بالنص فهو بناءً على أن خالد بن الوليد قدم إلى دمشق ومنها توجه إلى أجنادين، انظر: فتوح الشام، ص 87. أحمد بن أعثم الكوفي (ت نحو 314هـ ـ 926م): **الفتوح**، جـ1، 4 أجزاء، بيروت: 1986، ص 114، 115. وفي المقابل فإن هناك روايات أكدت ذهاب أبي عبيدة إلى دمشق وأنه اشترك مع خالد ابن الوليد في حصارها قبل معركة أجنادين. فتوح الشام، ص 76، 84. الفتوح، جـ 1، ص 113، 114، ومادام أبو عبيدة استقر في الجابية واتخذها قاعدة له، فهو إما انطلق من الجابية إلى بُصرى برفقة خالد بن الوليد

انظر: فتوح البلدان، ص 133، ومنها اتجه إلى دمشق وإما أنه اتجه من الجابية إلى دمشق كما ذكرناه في النص.

(60) يظهر أن تحركات الروم لم تصل إلى حد يشكل خطراً مباشراً يستدعي تجمع الجيوش المسلمة للقتال صفّا واحداً وذلك عند وصول خالد بن الوليد إلى الشام.

(61) فتوح الشام، ص 84.

(62) فتوح الشام، ص 84، 87، 91.

(63) انظر التفصيل: فتوح الشام، ص 94 ـ 153.

(64) فتوح الشام، ص 153 ـ 156.

(65) فتوح الشام، ص 160، 161، وكان أبو عبيدة قد وجّه عمرو بن العاص إلى فلسطين، والأردن عندما كان محاصراً لدمشق أو بعد فتحها وذلك بعد معركة أجنادين، انظر: فتوح الشام، ص 106، 107.

(66) انظر أيضاً: أحمد عادل كمال: **الطريق إلى دمشق**، الطبعة الرابعة، بيروت: 1990، ص 418.

(67) فتوح الشام، ص 163.

(68) تهذيب تاريخ دمشق، جـ 1، ص 161، 162.

(69) تهذيب تاريخ دمشق، جـ 1، ص 162. الطريق إلى دمشق، ص 432.

(70) تهذيب تاريخ دمشق، جـ 1، ص 162.

(71) تهذيب تاريخ دمشق، جـ 1، ص 162.

(72) انظر التفصيل: فتوح الشام، ص 217 ـ 231. تهذيب تاريخ دمشق، جـ 1، ص 160ـ171.

(73) تاريخ الأمم والملوك، جـ 4، ص 46، 48.

(74) فتوح مصر وأخبارها، ص 91 ـ 129، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي (ت 284 هـ ـ 897م): **كتاب البلدان**، ليدن:1892، ص 330، 331، ملحق مع كتاب أحمد بن عمر بن رستة (ت نحو 300 هـ ـ 912م): **الأعلاق النفيسة**،تاريخ العالم الإسلامي، ص 121، 122.

(75) يذكر البلاذري أنه لما قدم عمرو بن العاص مصر تحصن أهل الفسطاط في حصنهم فحاصرهم عمرو حتى فتحه عنوة، وقيل بل فتح صلحاً، فتوح، ص 249 ـ 252، مما يدل على أن الفسطاط كانت منطقة عامرة وبها حصن لسكانها. ويؤيد من جانب آخر ما ذكر في بعض المصادر الأوربية أن كلمة الفسطاط مشتقة من اللفظ الروماني أو اليوناني FASSATUM أي المدينة المحصنة. انظر مثلا: الفرد بتلر، **فتح العرب لمصر**، جـ2، القاهرة: 1989، ص295، 522. ولكن عمرو بن العاص لما ارتاد منزلاً لجيشه اختط خططاً للقبائل في الجزء غير المسكون منها في منطقة الفسطاط، فتوح مصر وأخبارها، ص 92 ـ 129.

(76) الخباء هو البيت المبني من الوبر أو الصوف أو الشعر، انظر: إبراهيم أنيس وآخرون: **المعجم الوسيط**، ، جـ 1، جزءان، الطبعة الثانية، ص 213.

(77) تهذيب تاريخ دمشق، جـ 1، ص 162.

(78) معجم البلدان، جـ2، ص 91.

(79) محمد بن سعد (ت نحوه 20 هـ ـ 815م): **الطبقات الكبرى**، جـ 3، 9 أجزاء، بيروت: 1957 ـ 1968، ص283، البلاذري: **كتاب الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، تحقيق** إحسان العمد الكويت:،1989، ص 193. تاريخ اليعقوبي، جـ2، ص 147. تهذيب تاريخ دمشق، جـ 1، ص 175، 176، وأورد الطبري رواية أن عمر قدم سنة 14هـ ـ 635، ورواية أخرى سنة 15 هـ ـ 636م تاريخ، جـ 3، ص 579، 607، 608، وهو خلاف المشهور وما أكدته المصادر الأخرى.

(80) فتوح الشام، ص 247، 248. تاريخ خليفة بن خياط، ص 135، فتوح البلدان ص 164، تاريخ الطبري، جـ3، ص 608. الفتوح، جـ1، ص 222 ـ 234. تاريخ اليعقوبي، جـ2، ص146، 147.

(81) عبدالجبار الخولاني (379 هـ ـ 980م): **تاريخ داريا**، تحقيق سعيد الأفغاني،1984، ص 95، 96.

(82) يعقوب بن سفيان البسوي (ت 277هـ 890م)، **المعرفة والتاريخ**، تحقيق أكرم العمري، 3 أجزاء، بيروت:1981، جـ1، ص 464. تهذيب تاريخ دمشق، جـ1، ص176.

وأورد الطبري سبباً آخر في رواية بأن عمرو بن العاص، حاصر فلسطين وعلم من أهلها أن الذي فتحها رجل اسمه «عمر» فأرسل إلى الخليفة عمر يطلب منه المدد ويقول له: «إني أعالج حرباً كنوداً صدوماً وبلاد ادخرت

لك فرأيك» فعلم عمر أنه لم يخبره بذلك «إلا بعلم» فخرج لبلاد الشام، تاريخ، جـ 3، ص 606 ـ 607، وهذه الرواية خلاف المشهور والمتواتر من أن أبا عبيدة هو المحاصر لها، وأنهم طلبوا من أبي عبيدة صراحة أن يكون الذي يعقد صلحها هو الخليفة عمر (راجع المصادر في الهامش قبل السابق «81»).

(83) فتوح الشام، ص 249، 250. الفتوح، جـ 1، ص 224، 225.
(84) الطبقات الكبرى، جـ3، ص 283. كتاب الشيخان، ص 193.
(85) تاريخ، جـ1، ص 178.
(86) تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص65.
(87) المعرفة والتاريخ، جـ1، ص643.
(88) خليفة بن خياط، ص138. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص62.
(89) المعرفة والتاريخ، جـ1، ص 463، 464.
(90) تاريخ خليفة بن خياط، ص 138. تهذيب تاريخ دمشق، جـ7، ص 167.
(91) تاريخ، جـ4، ص64.
(92) تاريخ، جـ4، ص67.
(93) تاريخ خليفة بن خياط، ص 138.
(94) تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص50، 51. اسماعيل بن عمر بن كثير (ت774هـ ـ 1372م)، **البداية والنهاية**، جـ 7،، 14 جزءاً، بيروت: 1966، ص 75.
(95) تاريخ الأمم والملوك، جـ3، ص608 ـ 610.
(96) تاريخ الأمم والملوك، ص65. تهذيب تاريخ دمشق، جـ1، ص175.
(97) تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص 64، 65. الثغور هي الحدود التي تفصل بين الدولة الإسلامية ودول الأعداء.
(98) تاريخ الأمم والملوك، جـ 4، ص 64، يظهر أن هذا النظام لم يأخذ طابع الانتظام السنوي إلا ابتداءً من عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (41 هـ 661 م إلى 60 هـ 679م)، انظر: تاريخ اليعقوبي، جـ2، ص239 ـ 240.
(99) تاريخ الأمم والملوك، جـ4،ص64.
(100) تاريخ الأمم والملوك، جـ3، ص605 , 606 , 608 , 612.
(101) المعرفة والتاريخ، جـ1، ص463، 464.
(102) كتاب الشيخان، ص193.
(103) إن أمر توزيع الأراضي التي افتتحت عنوة اختلف فيه الصحابة اختلافاً كبيراً، فهناك من يرى وجوب توزيعها على المقاتلين الذين افتتحوها، على حين يرى الخليفة عمر بن الخطاب وآخرون أن تظل في أيدي أصحابها ويفرض عليها الخراج لتكون مورداً مالياً دائماً للدولة يستفيد منه عموم المسلمين بدلاً من أن يقتصر نفعها على أفراد قلائل، وقد نفذ عمر هذه السياسة على جميع الأراضي المفتوحة. انظر التفصيل: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت 182 هـ ـ 798م): **كتاب الخراج**، بيروت: ص 27 ـ 32.
(104) تاريخ خليفة بن خياط، ص 122.
(105) المعرف والتاريخ، جـ3، ص464.
(106) تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص64، 65.
(107) تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص 50 ـ51. ابن الأثير عزالدين بن محمد (ت 630 هـ ـ 1232م)، **الكامل في التاريخ**، جـ2، 13جزءاً، بيروت: 1979، ص531.البداية والنهاية، جـ7،ص75 ـ 76.
(108) البداية والنهاية، جـ 7، ص 75 ـ 76 عن محمد بن إسحاق (ت 151 هـ ـ 768م).
(109) سَرْع أو سَرْغ «أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك»، معجم البلدان، جـ 3، ص 211 ـ 212.
(110) تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص51، 52.
(111) تاريخ الأمم والملوك، ص52.
(112) تاريخ الأمم والملوك، ص55.
(113) تاريخ الأمم والملوك، ص55.

(114) يظهر أن سبب الاختلاف في قدوم الخليفة عمر إلى سَرْغ أو الجابية ناتج عن زيارته الثالثة إلى الشام والتي كانت في السنة نفسها والتقى به أمراء الأجناد في سرغ وأخبروه أن الأرض انتشر فيها الطاعون فرجع من غده إلي المدينة، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، جـ1، ص 177 ـ 178. تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص 57 ـ 58. تهذيب تاريخ دمشق، جـ1، ص175 ـ 176، الكامل في التاريخ، جـ2، ص 559 ـ 560. البداية والنهاية، جـ7، ص76.

(115) تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص 52. البداية والنهاية، جـ 7 ص 76.

(116) تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص 54 – 55.

(117) تاريخ الأمم والملوك، جـ 4 ص 58. البداية والنهاية، جـ7 ص 77.

(118) معجم ما استعجم، جـ3، ص971. معجم البلدان، جـ4. ص157. وهي منطقة بالقرب من بيت المقدس، معجم البلدان، جـ4، ص157.

(119) تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص59.

(120) تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص61، أي أنه ورث الأموال بين الأموات أولاً حسب وقت الوفاة، ثم ورث الأحياء من الأموات اللاحقين، انظر: أحمد بدر: «الإقطاع في بلاد الشام خلال القرنين الأول والثاني من الميلاد»، **المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام**، المجلد الثاني عمّان، 1987م، ص 393.

(121) فتوح مصر وأخبارها، ص53 ـ 56. جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (911 هـ ـ 1505م): **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، جـ1، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جزءان، القاهرة: ص106.

(122) انظر أيضاً:

- Megraw DF, The early Islmic conquests (Princeton, 1981) P.245.

العرب والأرض، ص 26.

(123) تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص50 ـ 51. البداية والنهاية، جـ7، ص75.
أورد الطبري في أحداث سنة 17 هـ ـ 638 م توزيع جيوش المسلمين على الأجناد الأربعة (دمشق، والأردن، وحمص، وفلسطين، بالإضافة إلى السواحل)، تاريخ، جـ4، ص67، مما يدل على أنه تم إخلاء الجابية من الجنود سنة 16 هـ ـ 637م بعد زيارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأولى للجابية أو سنة 17 هـ ـ 638م.

(124) تاريخ الأمم والملوك، جـ3، ص372، 373، 379، 384.

(125) تاريخ الأمم والملوك، 529.

(126) فتوح البلدان، ص338.
وفي المقابل إن الجيش الذي استقر في البصرة مع عتبة بن غزوان كان معسكراً على شاطئ دجلة قبل أن ينتقل إليها، انظر: تاريخ الأمم والملوك، جـ3، ص592 ـ 594.

(127) كتاب البلدان، ص325. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص 192.

(128) ابن الفقيه، البلدان، ص105. البكري، المسالك، جـ1، ص464.

(129) شاكر مصطفى: **المدن الإسلامية**، جـ1، جزءان، الكويت: 1989، ص327.

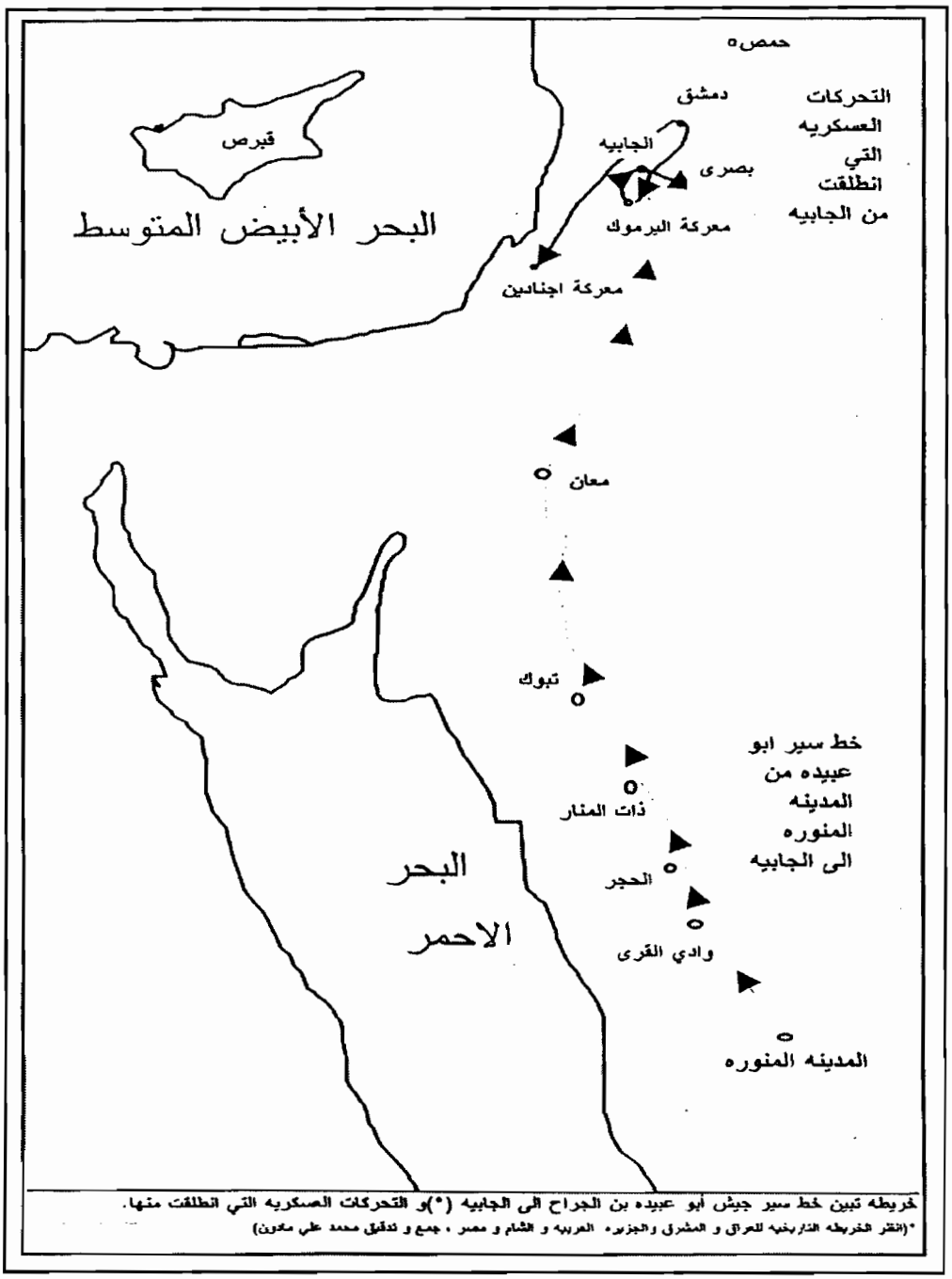

خريطه تبين خط سير جيش أبو عبيده بن الجراح الى الجابيه (*)و التحركات العسكريه التي انطلقت منها.

*(انظر الخريطه التاريخيه للعراق و المشرق والجزيره العربيه و الشام و مصر ، جمع و تدقيق محمد علي ماجون)